المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 14 آب 2024
No.14 Aug 2024

المتقابلات العرفانيّة في الشّعر الصّوفي

صفاء حسين عبود الهلالي
أ.م.د. صلاح الدين وحيد الهواري
جامعة الجنان/كلية الآداب والعلوم الانسانية/ قسم اللغة العربية وآدابها

ملخّص

يدرس هذا البحث تجلّيات المتقابلات العرفانيّة في الشّعر الصّوفي ؛ و ذلك من خلال دراسة الثّنائيّات الضّدّيّة القائمة على التّضاد بين المعاني العرفانيّة ، و من تلك المتقابلات الفناء و البقاء ، و القبض و البسط ، و الحياة و الموت ، و القرب و البعد ، و الإشارة و العبارة ، و قد حضرت هذه الثّنائيّات المتقابلة و أمثالها كثيراً في الشّعر الصّوفي ، و كانت ذات أثر عرفاني يتجلّى في بيان الحقائق الصّوفيّة ، فضلاً عن دورها في تحقيق شعريّة النّص الصّوفي . و قد اعتمد البحث في دراسة ذلك المنهج الوصفي التّحليلي الذي قام برصد المتقابلات و تحديد المقصود منها في إطار التّجربة الصّوفيّة ، ثمّ التّمثيل لها من الشّعر الصّوفي و تحليل أبعادها الجماليّة و الفنّيّة ؛ و ذلك من خلال مبحثين : الأوّل نظري حدد مفهوم المتقابلات العرفانيّة ، و الثّاني تطبيقي ؛ حدد مفهوم الشّعر الصّوفي و علاقته بالتّضاد و مثّل لنماذج من المتقابلات العرفانيّة . و قد خلص البحث إلى جملة من النّتائج كان في مقدّمتها مجيء المتقابلات العرفانيّة قائمة في معظمها على عنصر التّضاد الذي يعمل على مستوى الدّلالة ، و عنصر التّكرار من خلال عمليّة الحضور و الغياب ؛ و هذا ما جعل هذه المتقابلات ذات أبعاد جماليّة و دلاليّة على مستوى الإيقاع و الدّلالة . كما توصّل البحث إلى أنّ بعض المتقابلات تقوم على مبدأ تحديد الماهيّة و الوحدة ، فيجيء المعنى و نقيضه في معنى واحد يحقق وحدة الوجود .

الكلمات المفتاحيّة : التّقابل ، العرفان ، التّصوّف ، الشّعر ، الحياة و الموت ، القبض و البسط ، الفناء و البقاء ، الإشارة و العبارة .

Mystical oppositions in Sufi poetry

Safaa Hussein Aboud Al-Hilali
Assistant Professor Dr. Salah El-Din Wahid Al-Hawari
Al-Janan University/Faculty of Arts and Humanities/Department of Arabic Language and Literature

Abstract

This research studies the manifestations of mystical oppositions in Sufi poetry. This is through studying the opposite dualities based on the opposition between the mystical meanings, and among those opposites are annihilation and survival, capture and expansion, life and death, proximity and distance, sign and expression, and these opposite dualities and others like them have been presented. It was frequently used in Sufi poetry, and it had a mystical effect that was evident in explaining Sufi truths, in addition to its role in achieving the poetics of the Sufi text. The research adopted the descriptive and analytical approach in studying the encounters and determining their meaning within the framework of the Sufi experience, then representing it in Sufi poetry and analyzing its aesthetic and artistic dimensions. This is done through two sections: the first is theoretical, defining the concept of cognitive correspondences, and the second is applied. He defined the concept of Sufi

poetry and its relationship to opposition and presented examples of mystical oppositions. The research concluded with a number of results, the most important of which was the emergence of mystical oppositions, based mostly on the element of opposition that operates at the level of significance, and the element of repetition through the process of presence and absence. ; This is what made these contrasts have aesthetic and semantic dimensions at the level of rhythm and connotation. The research also concluded that some oppositions are based on the principle of defining essence and unity, so meaning and its opposite come together in one meaning that achieves unity of existence.

Keywords: encounter, knowledge, mysticism, poetry, life and death, capture and extension, annihilation and survival, sign and expression.

مقدّمة :

إنّ نظرة المبدع للعالم تختلف عن نظرة الفرد العادي، وعندما يكون هذا الشّاعر صوفيّاً عارفاً فإنّه يتأثّر بهذه الرؤية فينفعل بأشياء الوجود ويتفاعل معها من خلال هذه الرّؤية. وقد وجد الصوفيّون في الأدب أداةً للتّعبير عن خلجات أنفسهم وما يعتلج أرواحهم من مكاشفات وتجلّيات الأنوار، فوظّفوا اللغة بقدراتها الدّلاليّة الموسّعة مضاعفين تلك القدرات عبر ما أحدثوه من خرق للمنظومة اللغويّة ، فكانت لغتهم لغة انزياحيّة رمزيّة. و قد بنوا كثيراً من مصطلحاتهم على علاقة التّضاد التي أنشأت كثيراً من الثّنائيّات الضّديّة ؛ و قد تجلّت في شعرهم بوصفها متقابلات عرفانيّة تكشف عن أسرار المعرفة الصّوفيّة ؛ فضلاً عن دورها في تحقيق شعريّة النّص الشّعري من خلال إيقاع بنية الطّباق ودلتها ؛ فالطّباق يعني "الجمع بين متضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"[1] ؛ و من ثمّ فإنّه يعمل على خلق بنية دلاليّة قائمة على التّضاد ، و بنية إيقاعيّة تتحدد من خلال عمليّة الحضور والغياب[2]، فـــ "الطّرفان الحاضران على مستوى اللفظ متقابلان ، لكنّهما يستدعيان طرفين غائبين لإكمال الدّائرة التكرارية".[3]

و انطلاقاً من هذه المقدّمات وقع اختيارنا على هذا الموضوع في محاولة لاستجلاء أبرز نماذج المتقابلات العرفانيّة و أسرارها الصّوفيّة في الشّعر الصّوفي ، و بيان جماليّاتها البنائيّة و أبعادها الدّلاليّة .

أهميّة البحث :

تنبع أهميّة البحث من أهمّيّة الظّاهرة المدروسة ؛ إذ تعجّ الأشعار الصّوفيّة ببنى تقابليّة ذات أبعاد عرفانيّة تحقّق خصوصيّة التّجربة الصّوفيّة ، و من ثمّ فإنّ دراسة بناها و أثرها في تكوين الشّعر الصّوفي سيقدّم إضافة جديد تكشف عن أسرار خصوصيّة التّجربة الشّعريّة الصّوفيّة ، و أبعادها الجماليّة و الدّلاليّة و الإيقاعيّة .

الإشكاليّة :

ينطلق البحث من إشكاليّة رئيسة مفادها : كيف تجلّت المتقابلات العرفانيّة في الشّعر الصّوفي ؟ و يتفرّع من ذلك :

ما المقصود بكل من العرفان و التّقابل ؟

ما الأبعاد الجماليّة للمتقابلات العرفانيّة على مستويي الإيقاع و الدّلالة ؟

ما أبرز نماذج المتقابلات العرفانيّة في الشّعر الصّوفي ؟

---

(1) طبانة ، بدوي ، معجم البلاغة العربيّة ، ص 363 .
(2) عبد المطّلب ، محمّد ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، دار نوبار للطّباعة ، القاهرة ، ط 2 ، 2007 ، ص 355 .
(3) عبد المطّلب ، محمّد ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، دار نوبار للطّباعة ، القاهرة ، ط 2 ، 2007 ، ص 356.

منهج البحث :

نهج البحث المنهج الوصفي التّحليلي الذي يقوم على رصد الظّاهرة المدروسة و كيفيّة حضورها من خلال تحديد نماذج للمتقابلات العرفانيّة في الشّعر الصّوفي و دراستها دراسة تحليليّة تكشف عن أبعادها الجماليّة و الفنّيّة على مستويي الدّلالة و الإيقاع .

المبحث الأوّل
مفهوم المتقابلات العرفانيّة :

يمكن تحديد مصطلح (المتقابلات العرفانيّة) بوصفه جوهر الموضوع ؛ و هو يتكوّن من اجتماع مفهومين رئيسين ، هما : التّقابل / العرفان . و من ثمّ إنّ تحديد ماهيّة هذا المفهوم تتطلّب الوقوف على دلالة عنصرَيه :

1 . مفهوم التّقابل :

يعدّ مفهوم التّقابل من المفاهيم المهمّة في العلوم الإنسانيّة بصورة عامّة ، و قد أرجعت الفلسفة مظاهر الكون في مجملها إلى ثنائيّات متقابلة ؛ و قد "اختلف الفلاسفة في هذا الأصل المثنوي أهو الهيولى و الصّورة ، أم النّور و الظّلمة ، أم الحركة و السّكون ، أم الخير و الشّر ، أم الإيجاب و السّلب ، أم الرّوحاني و الجسماني . . . و تبعاً لذلك توجد تصاريف الأحوال الثّنائيّة ؛ مثل الموت و الحياة ، النّوم و اليقظة ، المرض و الصّحة ، الألم و اللذة . . . و من ثمّة وجدت أحكام الأمور الشّرعيّة : الأمر و النّهي ، التّرغيب و التّرهيب".[1]

فكانت النّظرة الثّنائيّة القائمة على مبدأ التّقابل أساس كثير من الظّواهر و المسائل ؛ و "هذه الثّنائيّات تسمّى تقابلاً ، و التّقابل يقوم على إحداث التّمثل الذّهني عبر المقابِل ، و هو تفكير درج عليه علماء العرب قديماً في عريف الشّيء بماهيّته ، أو بضدّه أو بمثاله ، و هي عمليّات يعمد العقل إلى تبسيطها بشكل ظاهر أو خفي".[2]

2 . مفهوم العرفان :

يشتق لفظ العرفان من (المعرفة) و هو "يشير في السّياق الصّوفي إلى المعرفة النّاتجة عن التّجربة الرّوحيّة ، و تعييناً إلى التّرقّي في مراتب معرفة الله معرفة لا نهائيّة يتواشج و يتوالج فيها طلب المعرفة بطلب الفناء على بساط المحبّة".[3]

فالعرفان معرفة ؛ و لكنّها ليست أيّة معرفة ؛ إنّها معرفة الذّات الإلهيّة التي تتأتى لجماعة مخصوصة بلغوا درجة عالية في معرفة الصّفات الإلهيّة .

و "يستخدم مصطلح تيّار العرفان عن الرّافد النّظري ، و هو فرع من فروع المعرفة الإنسانويّة التي تحاول أن تعطي تفسيراً تكامليّاً معمّقاً عن مصدر أسماء الذّات الإلهيّة و نظامها وصفاتها و تجلّياتها و مراتبها".[4]

و بذلك يكون "العرفان هو عبارة عن العلم بالحقّ سبحانه ، من حيث أسماؤه و صفاته و مظاهره ، و العلم بأحوال المبدأ و المعاد ، و حقائق العالم ، و كيفيّة رجوعها إلى الحقيقة الواحدة ، التي هي الذّات الأحديّة

---

(1) بازي ، محمّد ، البنى التّقابليّة ، خراءط جديدة لتحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2015 م ، ص 212 .

(2) بازي ، محمّد ، البنى التّقابليّة ، خراءط جديدة لتحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2015 م ، ص 215 .

(3) الحراق ، محمد ، في الجماليّة العرفانيّة ، مؤمنون بلا حدود ، الرّباط ، 2016 م ، ص 5 .

(4) البغدادي ، أحمد ، التّفسير العرفاني بين البعد الصّوفي و المنطق الواقعي ، دار إحياء تراث الإمام البغدادي ، النّجف ، العراق ، ط 1 ، 2018 م ، ص 18 _ 19 .

للحقّ تعالى ، و معرفة طريق السّلوك ، و المجاهدة لتحرير النّفس من علائقها و قيودها ، و قيود جزئيّتها ، و اتّصالها بمبدئها ، و اتّصافها بنعت الإطلاق و الكلّيّة".[1]

و هو لا يقتصر على معنى نظري بحت ؛ بل إنّه يدل على حركو فكريّة متكاملة ؛ فـ "العرفان : حركة فكريّة و سلوكيّة معنويّة قائمة على المعرفة ، فهي رؤية فكريّة ، و علميّة ، و دينيّة عميقة ، تسعى إلى معرفة مباشرة و تفصيليّة بالله تبارك و تعالى ، و بحقائق و أسرار عالم الوجود الكوني و الإنساني معاً ، وفق منهج و بناء معرفي ، أساسه الإشراق الباطني و الكشف و الشّهود القلبي".[2]

و بناء على ما تقدّم يمكن تحديد مفهوم المتقابلات العرفانيّة على أنّها ثنائيّات تجمعها علاقة دلاليّة تقوم على التّضاد ، و هي تختصّ بالمعاني العرفانيّة التي تدلّ على المعرفة الإلهيّة.

المبحث الثّاني
تجلّيات المتقابلات العرفانيّة في الشّعر الصّوفي :

لقد عُرف الشّعر الصّوفي بكثرة ثنائيّاته المتضادّة ، و التي جائت محمّلة بدلالات صوفيّة عرفانيّة تتعلق بمعرفة الذّات الإلهيّه ، و عليه ؛ لا بدّ أوّ لاً من تحديد الشّعر الصّوفي و علاقته بالتّضاد ، ثمّ الانتقال إلى عرض مجموعة من نماذج المتقابلات العرفانيّة و بيان أثرها و دورها في بناء النّص الشّعري الصّوفي :

1 . الشّعر الصّوفي و علاقته بالتّضاد :

إنّ التّصوُّف: هو امتثال الأمر و اجتناب النّهى في الظَّاهر و الباطن، من حيث يرضى لا من حيثُ ترضى". [3]

وفي **المعجم الفلسفي** "التصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد، والتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل، لتزكو النفس وتسمو بالروح، وهو حالة نفسية يشعر بها المرء بأنه على اتصال بمبدأ أعلى"[4]، وأصل التصوف "الإعراض عن الدنيا، والصبر، وترك التكلف، ونهايته الفناء بالنفس، والبقاء بالله، والتخلص من الطبائع، والاتصال بحقيقة الحقائق"[5].

ويذلك فإنّ "هذا الاسم (التّصوّف) مأخوذ من (الصّفاء)، والصّفاءُ هو: خلوص الباطن من الشّهوات وَالكدرات. فعلمُ التّصوّف يهتمُّ بصفاء القلبِ من الشّهوات كحبّ الرّئاسةِ وَحبِّ السُّمعةِ وَحبِّ المحمدة من النّاس، وَبصفائه من الكدرات؛ أي الأمراض القلبيّة كالحقدِ والحسد والكبر والعجب والغرور وسوء الظَّن بالنّاس".[6]

و قد "كان الشّعر الصّوفي رافداً مهمّاً و ركيزة أساسيّة ، ارتكز عليها لمتصوّفة ، حيث مكّنتهم من البوح ، و التّعبير عمّا يتأجّج في صدورهم من فيض المحبّة الإلهيّة ، و ما يسطع عليهم من أنوار الذّات العليّة ، فجادت قرائحهم بشعر عذب سلس يحمل خالص تجاربهم ، و يعبّر عن صافي مشاعرهم و أصدق عواطفهم تجاه الذّات الإلهيّة".[7]

---

(1) البغدادي ، أحمد ، التّفسير العرفاني بين البعد الصّوفي و المنطق الواقعي ، دار إحياء تراث الإمام البغدادي ، النّجف ، العراق ، ط 1 ، 2018 م ، ص 21 .

(2) ناصر ، فادي ، فلسفة العرفان النّظري ، دار الولاء ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2018 م ، ص 33 .

(3) حمدي ، أيمن ، قاموس المصطلحات الصّوفيّة(دراسة تراثيّة مع شرح اصطلاحات أهل الصّفاء من كلام خاتم الأولياء)، دار قباء للطّباعة و النّشر و التّوزيع، القاهرة، 2000، ص50.

(4) صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب العالمي – بيروت، 1994، ص 282.

(5) صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب العالمي – بيروت، 1994، ، ص 283.

(6) عيسى ، عبدة ، مفهوم التّصوّف ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص11.

(7) حمادة ، حمزة ، جماليّة الرّمز الصّوفي في ديوان أبي مدين شعيب ، جامعة قاصدي مرباح بورقلة ، 2008 م ، ص 6 .

و تقترب التّجربة الصّوفيّة من التّجربة الشّعريّة ؛ "لما يحمله الشّعر من خصائص الإيحائيّة و الرّمزيّة ، و التّلميح فيجعل لها مجالاً واسعاً فسيحاً و الشّعر أكبر قدرة على تمثّل معاناة الصّوفيّة بأسرارها و غوامضها و كثافتها ؛ حيث كان ظهور الشّعر الصّوفي معاصراً لظهور التّصوّف ذاته".[1]

فـ "التّجربة الشّعريّة عند المتصوّفة ذات طبيعة خاصّة ليس من أغراضها قضيّة التّواصل و التّوصيل بالمعنى المفتوح ، بل الدّافع الأساسي هو التّعبير عن معاناة من نوع ما ، ضمن ما عرف عنهم (ما يدرك و لا تحيط به الصّفة)".[2]

و من ثمّ برز التّضاد في ظل هذه التّجربة "كمكوّن استراتيجي في القصيدة يغني النَّص الشّعري بالتّوتّر و العمق بما يعكسه من تناقض و توتّر و تقابل بين أطراف المعنى عموماً".[3]

من ذلك قول عبد الله العشيّ:[4] (تفعيلة مسْتفعِلن)

أوقفتَني في البوحِ يا مولاتي

قبضتنِي ، بسطتني ،

طَويتني ، نشرتني ،

أخفيتني ، أظهرتني . . .

و بحت عن غوامِض العبارة.

يقوم هذا النّص الشّعري الصّوفي على جملة من المتقابلات المتضادّة المتمثّلة بـ : (قبضتني / بسطتني) ، (طويتني / نشرتني) ، (أخفيتني / أظهرتني) ، و هذه الثّنائيّات الضدّيّة تكشف عن عمق المعرفة الصّوفيّة التي تفسّر المبادئ العرفانيّة القائمة على وحدة الوجود ؛ فالقبض هو البسط ، و الطّي هو النّشر ، و الخفاء هو الظّهور . و هذه البنى جميعها تقوم على علاقة تكراريّة بين الحضور و الغياب كما يأتي :

الحضور (في النّص) الغياب (في الذّهن)

قبضتني # بسطتني

بسطتني # قبضتني

فلفظة (قبضتني) الحاضرة في النّص تستدعي نقيضها في الذّهن (بسطتني) ، و لفظة (بسطتني) في النّص تستدعي نقيضها الغائب في الذّهن (قبضتني) ، و بذلك تكتمل الدّائرة التّكراريّة بين الحضور و الغياب .

و بذلك يبدو "التّصوّف كمحاولة لتأسيس وضعيّة روحيّة ينشط و يتكامل تحت تأثير ديالكتيك وجداني يتّسم بتقابل الأطراف و تعارض أحوال الوجدان دون الاتّجاه إلى القضاء عليها برفعها إلى تركيب يكون حدّاً ثالثاً للمتقابلين بإفناء أي منهما في الآخر".[5]

2 . نماذج من المتقابلات العرفانيّة :

إنّ المصطلح المتقابل "يقصد بها المصطلحات التي تفهم بأضدادها ، و الحقّ أنّ مقابلة المصطلحات يعين على الولوج إلى بعض أسرار السّيميولوجية الصّوفيّة".[1]

---

(1) طاهر ، نادية ، الخصائص الأسلوبيّة في شعر محيي الدّين بن عربي ، كليّة الآداب ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، د . ت ، ص 28 .

(2) الكندي ، محمد علي ، في لغة القصيدة الصّوفيّة ، دار الكتاب الجديد ، لبنان ، 2010 م ، ص 81 .

(3) شرفي ، لخميسي ، استراتيجية التَّضاد و علاقتها بالنَّزعة الصّوفيّة في شعر عبد الله العشيّ ، مجلّة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، ع 7 ، 2011 م ، ص 267 .

(4) العشي ، عبد الله ، ديوان مقام البوح ، منشورات جمعيّة شروق الثّقافيّة ، باتنة ، 2007 م ، ص 5 .

(5) نصر ، عاطف جودة ، شعر عمر بن الفارض ، منشأة المعارف بالإسكندريّة ، مصر ، 994 م ، ص 174 .

و بناء على ذلك ، يمكن عرض بعض النّماذج التي تبيّن حضور المتقابلات العرفانيّة في الشعر الصّوفي :

_ (الفناء و البقاء) :

يدلّ مصطلح الفناء على إلغاء النّعوت السّيّئة ، بينما يشير مصطلح البقاء إلى حضور الأوصاف المحمودة . و الفناء صورتان : أحدهما : ما ذكرنا و هو بكثرة الدُّربة . و الثّاني : عدم الإحساس بعالم الملك و الملكوت ، و هو الاستغراق في ألوهيّة البارئ و مشاهدة الحقّ".[2]

فالفناء "في مصطلح القوم أن يتخلّص العبد من صفاته الذّميمة المرتبطة بالبدن الخاضعة له . و بعد أن يفنى عن صفاته المذمومة ، عليه أن يفنى في الذّات الإلهيّة و يتوحّد معها ؛ لأنّه قد فنى عن الحجب التي كانت تمنعه من هذا الفناء . . . و هذا الفناء لا يتم غلّا من خلال البقاء".[3]

و يظهر هذا التّقابل في قول الحلّاج :[4] (من مجزوء الرّمل)

أنا عندي محو ذاتي من أجلِّ المكرُماتِ

وَ بَقائي في صفاتي مِن قبيحِ السَّيئاتِ

سَئِمَتْ روحي حَيَاتي في الرّسومِ الباليَاتِ

فاقتلوني و احرقوني بِعِظَامِي الفَانِيَاتِ

فالشّاعر يسعى للفناء و يرى في بقائه استمرار للصّفات الإنسانيّة السّيئة ، و أمّا الفناء فهو تحقيق لوحدة الوجود ، و هكذا يتحوّل البقاء و الفناء إلى ثنائيّة عرفنيّة متقابلة تبيّن البون الشّاسع بين الدّرجتَين .

_ (القبض و البسط) :

و هما "حالتان بعد ترقّي العبد من حالة الخوف و الرّجاء ، فالقبض للعارف ، و الخوف للمستأنس . و الفرق بينهما أنّ الخوف و الرّجاء يتعلّقان بأمر مستقبل مكروه أو محبوب ، و القبض و البسط يتعلّقان بأمر حاضر في الوقت يغلب على قلب العارف من وارد غيبي".[5]

هكذا يبدو القبض مرتبة عرفانيّة تقابلها مرتبة البسط ، و هذا ما عبّر عنه قول ابن عربي:[6] (من البحر الكامل)

فانظر إلى قبضٍ و بَسْطٍ فيهما يُعطيكَ ذا صَدّاً و ذاك وِصالا

الله قد جَلَّى لذا إجلاله وَ لِذاكَ جلَّى من سناه جمالا

فهما متقابلة عرفانيّة تشي بالانتقال بين درجتَي (الصّد) و (الوصل) ، و لكنّه صدٌّ عن الدّنيا و وصل للّات الإلهيّة ، و من ثمّ يبدو أنّ الصّد هو عين الوصل و القبض هو عين البسط في جوهرهما العرفاني .

_ القرب و البعد :

إنّ "استراتيجيّة التّضاد جد مستعملة لدى شعراء الصّوفيّة ، حيث تتكرر باستمرار في سياقاتهم ، و صفات القرب و البعد من صفات القلوب ، فقرب من الله بطاعته و إيمانه ، و بعد عن الله بمخالفة أوامره و نواهيه".[1]

---

(1) هداجي ، محمد ، اصطلاحات الصّوفيّة ، جامعة محمد الصّديق بن يحيى ، الجزائر ، 2015 م ، ص 58 .
(2) الجرجاني ، التّعريفات ، تحقيق : محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د . ت ، ص 142 .
(3) كمال ، إيهاب ، الطّرق الصّوفيّة حقيقة أصلية أم بدعة دخيلة ، الحريّة للنّشر ، القاهرة ، 2006 م ، ص 25 .
(4) الشّيبي ، كامل مصطفى ، شرح ديوان الحلّاج ، منشورات جمل ، ط2 ، د.ت ، ص 204 .
(5) الحكيم ، سعاد ، المعجم الصّوفي ، دار ندرة ، بيروت ، ط 1 ، 1981 م ، ص 898 .
(6) ابن عربي ، الفتوحات المكّيّة ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 ، ص 560 .

و يرى العُرفاءُ أنّ "أوّل رتبة في القرب ، القرب من طاعته ، و الاتّصاف في دوام الأوقات بعبادته ، و أمّا البعد ، فهو التّدنّس بمخالفته ، و التّجافي عن طاعته ، فأوّل البعد بعد عن التّوفيق ، ثمّ بعد عن التّحقيق ، بل البعد عن التّوفيق هو البعد عن التّحقيق ، فقرب العبد أولاً قرب بإيمانه و تصديقه ، ثمّ قرب بإحسانه و تحقيقه ، و قرب الحقّ سبحانه ، ما يخصّه اليوم به من العرفان ، و في الآخرة ما يكرمه به من الشّهود و العيان ، و فيما بين ذلك من وجوه اللطف و الامتنان ، و لا يكون تقرب العبد من الحقّ إلّا ببعده عن الخلق".[2]

و هذه المعاني تتجلّى في قول النّوري :[3] (من البحر الطّويل)

أراني جمعي في فنائي تقرّباً و هَيْهَاتَ إلَّا مِنْكَ عَنْكَ التَّقرُّبُ

فَمَا عَنْكَ لي صَبْرٌ و لا فيكَ حيْلَةٌ وَ لا مِنْكَ لي بدٌّ و لا عَنْكَ مَهْرَبُ

تقرَّب قومٌ بالرَّجا فوصلْتهم فمالي بعيداً منك و الكلّ يعطب

فالفناء كما عرفنا هو درجة الاتحاد بالآلات الكلّيّة ، و من ثمّ فإنّ التّقرّب هو تقرّب من تلك الذّات و سير للفناء فيها ، و يقابله (البعد) الذي يقف على طرف نقيض ؛ فهو خروج من الحضرة المقدّسة و غياب عنها ، و هذا ما يجاهد الصّوفي العارف إلى تخطّيه و تركه ، أي الابتعاد عن البعد و الاقتراب من القرب ، فيبدو كلّ من القرب و البعد مرتبة عرفانيّة مقابلة للأخرى و مناقضة لها .

_ الموت و الحياة :

و هما ثنائيّة تنطلق من العرفان الصّوفي فالموت هو النّسيان و الابتعاد عن الحضرة الإلهيّة و الحياة هي معرفة الآلات الإلهيّة ؛ و من ثمّ "الذّاكر حيّ و إنْ مات ، و الغافل و إن كان حيّاً فهو من جملة الأموات".[4]

و تظهر هذه المتقابلة العرفانيّة في قول ابن سينا:[5] (من البحر الخفيف)

إنَّما النَّفسُ كالزُّجاجةِ و العلـــ ـــمُ ضياءٌ و حكمةُ اللهِ زَيتُ

فإذا أشرقت فإنَّك حيٌّ و إذَا أظلَمَتْ فإنَّكَ مَيْتُ

فهو يحدد موت الإنسان و حياته بناء على معرفته الحكمة الإلهيّة ، و ليس على أساس الجسد الفيزيولوجي الذي يموت عندما تتوقّف أعضاؤه عن العمل .

و في قول الحلاج :[6] (من البحر البسيط)

ذلكَ العليمُ بما لاقيتُ من دَنَفٍ و في مشيئته موتي و إحيائي

يبدو الموت هنا نهاية للوجود الإنساني و اتّحاداً بالذّات الكليّة ، و يبدو الإحياء بمعنى الاتّحاد ، و كأنّ هذه الثّنائيّة المتقابلة القائمة على التّضاد تضمر وحدة معنويّة في سياقها الصّوفي و العرفاني .

_ الإشارة و العبارة :

---

(1) جلول ، بوطيبة ، المعجم اللغوي للمصطلحات الصّوفيّة في السّياث الشّعري الصّوفي ، مجلّة سياقات ، 2019 م ، ص 160.

(2) القشيري ، الرّسالة القشيريّة ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، ص 192 .

(3) الكلاباذي ، التّعرّف لمذاهب أهل التّصوّف ، دار الهرم ، د . ت ، ص 107 .

(4) الإسكندري ، ابن عطا الله ، مفتاح الفلاح ، تخريج محمد إبراهيم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط 2 ، 2005 م ، ص 24 .

(5) ابن سينا ، ديوان ابن سينا ، تحقيق : نور الدّين و هنري جاهية ، الجزائر ، 1961 م ، ص 135 .

(6) الشّيبي ، كامل مصطفى ، شرح ديوان الحلّاج ، منشورات جمل ، ط2 ، د.ت ، ص 183 .

تؤكد الصّوفيّة أنّ لغتها الشّعريّة ليست لغة عاديّة ؛ بل "إنّها لغة ذوق و أحوال ، لغة سرّ و إشارة لا لغة منطق و عبارة ، تومئ و لا تفصح".[1]

فقد "جعلَ الصّوفيّة من الشّعر وسيلة لتزكية مقولاتهم الرّوحيّة و الوجدانيّة المتّصلة ببلوغ أعلى درجات الصّفاء".[2]

و من ثمّ فقد صرَّح أرباب التّجربة الصّوفيّة "أنّ الّوق هو مناط العرفان ، و أنّ مَن ذاقَ عَرف ، و أن لا سبيل إلى الإحاطة بمعانيهم نظراً و لا فكراً و لا تلقيناً و لا مدارسة ، لأنّ معارفهم لا تنال من الألواح و إنّما من الأرواح ، و لا تنال من الأوراق و إنّما بالأذواق ، فجعلوا الذّوق الذي يريدون به التّجربة في قلب عمليّة العرفان الشّاقّة ، و أحلّو الرّمز مكان الببوح ، و الإشارة مكان العبارة ، فليس ثمّة ما يعبّر عنه لغير الملتبس بالتّجربة ، و لا ما يباح به لغير المخترق بنفسه أسوار العرفان الشّاهقة المنيفة".[3]

و قد عبّر الحلاج عن ثنائيّة الإشارة و العبارة بقوله :[4] (من البحر المتقارب)

كَتَبْتُ إليكَ بفَهمِ الإشارة و في الأُنسِ فتّشتُ نطق العبارة

فهو يترك العبارة الصّريحة و يكتب بالإشارة اللمّاحة ، و يركز في هذا السّياق على الفهم الذي يبدو فهماً عرفانيّاً ، فالإشارة الصّوفيّة تبدو عبارة عاديّة لغير الصّوفي ، و لكنّها لغة و عالم متكامل في السّياق العرفاني للتّجربة الصّوفيّة .

الخاتمة :

يظهر لنا من خلال ما تقدّم أنّ المتقابلات العرفانيّة ظاهرة جليّة في الشّعر الصّوفي و هي تعبّر عن جوهر هذه التّجربة بطرق متعددة و ثنائيّات كثيرة ، و خلاصة البحث تتمثّل في النّتائج الآتية :

. يتكوّن مفهوم المتقابلات العرفانيّة من مصطلحَي العرفان و التّقابل ، و اجتماعهما يولّد دلالة مخصوصة تشير إلى الألفاظ التي تتقابل في النّص الصّوفي على علاقة التّضاد أو تفسير الماهيّة ، و تكون ذات أبعاد عرفانيّة ترتبط بمعرفة الذّات الإلهيّة صفاتها .

. يشكّل التّضاد جوهر كثير من المتقابلات العرفانيّة ، إذ إنّه يوضّح الاختلاف بين معرفة الذّات الإلهيّة و عدم معرفتها .

. تقوم بعض المتقابلات العرفانيّة في جوهرها على علاقة توافق فيكون الشّيء في جوهره مساوياً لضدّه ، و هذا ما يخلق بنية تقابليّة تؤكد الدّلالة و تعمّقها ؛ كما أنّها تكون ذات أثر إيقاعي من خلال علاقة التّكرار بين الحضور و الغياب .

المصادر و المراجع:

1. ابن سينا ، ديوان ابن سينا ، تحقيق : نور الدّين و هنري جاهية ، الجزائر ، 1961 م .
2. ابن عربي ، الفتوحات المكّيّة ، دار صادر ، بيروت ، ج 1 .
3. الإسكندري ، ابن عطا الله ، مفتاح الفلاح ، تخريج محمد إبراهيم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط 2 ، 2005 م .
4. بازي ، محمّد ، البنى التّقابليّة ، خراءط جديدة لتحليل الخطاب ، دار كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2015 م ،
5. البغدادي ، أحمد ، التّفسير العرفاني بين البعد الصّوفي و المنطق الواقعي ، دار إحياء تراث الإمام البغدادي ، النّجف ، العراق ، ط 1 ، 2018 م

---

(1) عامر ، آمال ، المناجاة الصّوفيّة : تجلّيات الفناء و رمزيّة اللغة ، مجلّة كلّيّة الآداب ، ع 14 ، 2019 م ، ص 14 .
(2) عامر ، آمال ، المناجاة الصّوفيّة : تجلّيات الفناء و رمزيّة اللغة ، مجلّة كلّيّة الآداب ، ع 14 ، 2019 م ، ص 15
(3) شطاح ، عبد الله ، الأدب الصّوفي : الإشارة و العرفان ، المنارة للاستشارات ، د . ت ، ص 66 .
(4) الحلاج ، الحُسين ، الدّيوان ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 2007 م ، ص 62 .

6. الجرجاني ، التّعريفات ، تحقيق : محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د . ت .
7. جلول ، بوطيبة ، المعجم اللغوي للمصطلحات الصّوفيّة في السّياث الشّعري الصّوفي ، مجلّة سياقات ، 2019 م .
8. الحراق ، محمد ، في الجماليّة العرفانيّة ، مؤمنون بلا حدود ، الرّباط ، 2016 م
9. الحكيم ، سعاد ، المعجم الصّوفي ، دار ندرة ، بيروت ، ط 1 ، 1981 م .
10. الحلاج ، الحُسين ، الدّيوان ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، 2007 م .
11. حمادة ، حمزة ، جماليّة الرّمز الصّوفي في ديوان أبي مدين شعيب ، جامعة قاصدي مرباح بورقلة ، 2008 م ،
12. حمدي ، أيمن ، قاموس المصطلحات الصّوفيّة(دراسة تراثيّة مع شرح اصطلاحات أهل الصّفاء من كلام خاتم الأولياء)، دار قباء للطّباعة و النّشر و التّوزيع، القاهرة، 2000،
13. شرفي ، لخميسي ، إستراتيجيّة التَّضاد ، مجلّة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، باتنة ، العدد السّابع ، 2011 م ،
14. شطاح ، عبد الله ، الأدب الصّوفي : الإشارة و العرفان ، المنارة للاستشارات ، د . ت .
15. الشّيبي ، كامل مصطفى ، شرح ديوان الحلّاج ، منشورات جمل ، ط2 ، د.ت
16. صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب العالمي – بيروت، 1994،
17. طاهر ، نادية ، الخصائص الأسلوبيّة في شعر محيي الدّين بن عربي ، كليّة الآداب ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، د . ت ،
18. عامر ، آمال ، المناجاة الصّوفيّة : تجلّيات الفناء و رمزيّة اللغة ، مجلّة كلّيّة الآداب ، ع 14 ، 2019 م .
19. عبد المطّلب ، محمّد ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، دار نوبار للنّشر ، القاهرة ، ط 2 ، 2007 ،
20. العشي ، عبد الله ، ديوان مقام البوح ، منشورات جمعيّة شروق الثّقافيّة ، باتنة ، 2007م.
21. عيسى ، عبدة ، مفهوم التّصوّف ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1، 1992 م .
22. القشيري ، الرّسالة القشيريّة ، تحقيق : عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، مصر ، د . ت .
23. الكلاباذي ، التّعرّف لمذاهب أهل التّصوّف ، دار الهرم ، د . ت .
24. كمال ، إيهاب ، الطّرق الصّوفيّة حقيقة أصلية أم بدعة دخيلة ، الحريّة للنّشر ، القاهرة ، 2006 م .
25. الكندي ، محمد ، في لغة القصيدة الصّوفيّة ، دار الكتاب الجديد ، لبنان ، 2010 م ،
26. ناصر ، فادي ، فلسفة العرفان النّظري ، دار الولاء ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2018 م.
27. نصر ، عاطف جودة ، شعر عمر بن الفارض ، منشأة المعارف بالإسكندريّة ، مصر ، 994 م .
28. هداجي ، محمد ، اصطلاحات الصّوفيّة ، جامعة محمد الصّديق بن يحيى ، الجزائر ، 2015م .